

مستقبل عظيم هذه النتيجة تتلخص في قوله : «فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه - أي أصل إليه - لتجشمت لقاءه» أي تكلفت الوصول إليه ، وهذا يدل على أنه كان يتحقق أنه لا يسلم من القتل إن هاجر إلى النبي عليه الصلاة والسلام - لقد أبدى استعدادا - لو أمكنه الوصول إلى النبي ﷺ لارتكب المشقة ، وتحمل كل عناء في سبيل ذلك ، إلا أنه قد خاف الروم على نفسه . وفي قوله : «... لغسلت عن قدميه» إظهار للعبودية والخدمة ، وأنه لا يطلب منصبا ولا جاها وإنما يطلب ما يحصل له من البركة .

والمراد بقوله : «فسيملك موضع قدمي هاتين» : بيت المقدس وكنتي بقوله «موضع قدمي» عنه ، لأنه موضع استقراره ، أو أنه كناية عن الشام كله .

وهنا نصل إلى درجة المعرفة التي بلغها هرقل ، لقد كان يعلم الحقيقة ، ويعلم أن النبي مرسل من ربه ولكنه خاف على نفسه وعلى ملكه . وهل هذا عذر يمكن أن يكون ؟ نقول : لا ، إنه لا ينهض عذرا فقد عرف الرجل صدق الرسول ﷺ إلا أنه رغب في استمرار الرياسة وخاف على الملك فأثر ذلك على الإسلام ولكن الرجل لو فطن لقول الرسول ﷺ في الكتاب : «أسلم تسلم» ووعى ما يترتب على الإسلام من السلامة دينا وآخره لكان سالما من كل ما يخافه ، ولكن الهدى هدى الله .

وفي رواية : «ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي وما زالت عنه الرياسة» .

وقد كان الكتاب الذي حمله الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي في سنة سبع في المحرم ودفعه دحية إلى عظيم «بصري» وهي مدينة بين المدينة ودمشق ، وقيل هي خوران ، وعظيمها : هو الحارث بن أبي شمر الغساني .

وفي وصف هرقل بعظيم الروم : إشارة إلى عدم الاعتراف بهذا الملك لأنه معزول بحكم الإسلام ولكنه لم يخله من إكرام لمصلحة التألف .

ولا يعترض على ما في الكتاب من قوله . سلام على من اتبع الهدى يبدئ الكافر بالسلام ؟ فإن المعنى سلم من عذاب الله من أسلم ، وليس المراد منه التحية ، ومذهب الشافعي وجمهور أصحابه وأكثر العلماء أنه لا يجوز للمسلم أن يبتدئ كافرا بالسلام ، وأجازه كثيرون من السلف ، ولكن قال الإمام النووي - بالنسبة للجواز - وهذا مردود بالأحاديث الصحيحة في النهي عن ذلك ، وهناك رأى آخر يقول بجواز بدء الكافر بالسلام إذا كان ذلك للاستئلاف أو حاجة إليه أو نحو ذلك . وقوله : «أما بعد» «أما» تستعمل لتفصيل ما يذكر بعدها غالبا ، وللتفصيل والتقرير وترد مستأنفة لا لتفصيل كالتي هنا ، ولفظة «بعد» مبنية على الضم وتفتح إذا أضيفت لكنها قطعت عن الإضافة فبنيت على الضم .